تكملة فصل علو الهمة في الصلاة

علو همة الشيخ أبو ذر القلموني في قيام الليل:

فضيلة الشيخ عبد المنعم أبو ذر القلموني تُعطَّر المجالس بذكره لشدة اتباعه وزهده وعلو همته في العبادة.

صَلِّ وراءه في أيِّ صلاة تعرفُ قدر نفسك.. لا تستطيع أن تقوم أو تقعد له في صلاة.. اكحل جفون قلبك برؤيتك للشيخ أبي ذر عندها ستقول ما أنور هذا الوجه وما أرقه.. سَمْت الشيخ يدعوك إلى الله، وإذا أردت أن تعرف قيامه فسلْ مسجد أمهات المؤمنين، أو مسجده بالبراجيل وسل تلامذته.. واسأل مولاك أن يرزقك صحبته والتأدَّب على يديه.. فله الصبر العجيب على العبادة قلَّ أن تجده عند غيره.

✍وللشيخ معي أحوال عجيبة وكرامات تجعلني لا أعدل به بدلا.

أُولاها: عند دخولي مستشفى القصر العيني لتغيير صمام بالقلب، وكانت حالتي سيئة جدًّا، وأتى الشيخ ورقاني بالرقية الشرعية.. وفي صبيحة اليوم التالي يأتي الدكتور المشرف على إعدادي لإجراء العملية، ويقف مبهورًا متعجِّبًا من هذا التحسُّن الغريب؛ فيخبره الدكتور سيد عقل الجرَّاح الذي أجرى العملية فيما بعد قائلًا: «لا تعجب فقد مرّ بالأمس على العفاني شيخ نحسبه صالحًا بمجرد أن رقاه حتى تغيَّرت الأوضاع تمامًا وسط دهشتنا جميعًا».

أما في المرّة الثانية: في يوم عقيقة ابني عبد الله، وكانت زوجتي الأولى التي تزوجتها منذ ثماني سنوات لا تنجب بعد أن استنفدنا كل وسائل العلاج؛ فطلبت منه أن يدعو لزوجتي الأولى.. التي تركت كل أسباب

العلاج وأشرفت على اليأس من الإنجاب وهنا قاطعني الشيخ أبو ذر قائلًا: إن شاء الله سيرزقها الله بولد ودعا لها.. وبعد أيام قليلة اتصلت بي الطبيبة المشرفة على علاجها وبكت وقالت: هل تصدق.. إن زوجتك حامل.. ورزقنا الله بولدي أحمد.

أما الحادثة الثالثة: ففي ليلة من الليالي وأنا مقيم في القاهرة نفدت نفقتي، ونظرت في جيبي بعد الواحدة من منتصف الليل فلم أجد شيئًا في جيبي.. وهنا رن تليفوني لأجد صوت الشيخ الحبيب عبد المنعم –يخبرني بأن سيرسل لي الشيخ أحمد البحيري بخبز وسط دهشة الشيخ البحيري، وهو يعرف ما بداخل الخبز.. وأفتح الخبز لأجد مبلغًا من المال يكفيني طيلة الشهر.. وصله الله في فردوسه الأعلى.

✍ الشيخ أبو ذر له مع الله الحال الطيب.. ولولا صحو السهر والجوع ما بان عندي هلال هذه الكرامات الثلاثة.. نعم لولا صيام القلموني وسهره وقيامه ما كانت له هذه الأحوال الطيبة..

علو همة شيخنا المقدم في القيام:

نظرة إلى وجه المقدم تنبئك بجلالة قدر سيدنا وشيخنا الذي تطيب بذكره المجالس، النظر إليه يذكرك بالله وبلآخرة، ويسرع بك للجنة، النظر إليه يُحيي موات الهمم، ويعلو بك للقمم..

وسل ليل رمضان في مسجد الفتح بالإسكندرية عن علوّ همَّة الشيخ في القيام.. وكيف يقرأ الشيخ بصوته النديِّ في القيام.. وكيف تتقاطر الدموع على الخدود تأثُّرًا بقراءته.. فما ظنك بليله إذا خلى وانفرد بربه.. لسان حاله يقول لربه:

سيبدو لكم في مُضمَر القلب والحشا ... سريرةُ حبٍّ يوم تبدو السرائِرُ

✍ ولإخلاص الشيخ المقدم وعبادته فتح الله له وبه مغاليق القلوب، وهدى الله على يديه الآلاف للمنهج السلفي الذي أينعت ثماره في مصرنا.

قيام الشيخ ياسر برهامي وعلو همته:

للشيخ ياسر قدر كبير في نفوس أبناء الدعوة السلفية.. وله مع الله سر هو تهجده وقيامه.. ولقد كنت رفيقه في زنزانة واحدة.. أنام أنا وهو على بطانية واحدة، وكنت أسمع صوت دموعه وخنينه وهو يُخفي وجهه بالبطانية..

وعند القيام يقوم بالأجزاء الطوال، ويكاد لايمرُّ بآية إلّا وهو يبكي.. فعلمتُ من قيامه لِمَ وضع الله القبول في نفوس الكثير والكثير..

✍ **ومِسْكُ الختام قيام الليل عند الشيخ الدكتور أسامة بحيّ الشافعي الإمام:**

علو همّة ريحانة العصر وسيِّد عُبّاد العصر فضيلة الشيخ الدكتور أسامة عبد العظيم في قيام الليل:

فضيلة الدكتور الأصولي شيخ الشافعية وعابدهم في عصرنا الشيخ أسامة عبد العظيم حفظه الله نسيج وحده في العبادة.. وإن تعجب لذاكم الجبل، فانظر إلى وجهه.. تجد أنوار القبول وذبول العبادة الوضيء يخبرك بحاله «وجوهٌ زهاها الحسنُ أن تتبرقعا»، ويُحدِّثكَ ويعظُك بلحظه قبل أن يجيبك بلفظه..وما ظنك بعبادة ذلكم السيد الذي ختم القرآن في مسجده في الجماعة أكثر من ألف مرة.. ولو نطقت جدران مسجده لأخبرت بعبادة الشيخ وخشيته لله عَزَّ وَجَلَّ وعلو همته.

ليُسقَ عهدكمُ عهد السرور فما ... كنتمْ لأرْواحِنا إلّا رياحينا

• القاصي والداني يعلم عظم قدر الشيخ أسامة لعبادته وعلمه.. وعلى يديه تعلَّمت القاهرة طول القيام، وهو مضرب المثل في ذلك، يصدق فيه، وفي الشيخ أبي ذر القلموني قول رسولنا ﷺ: «**أولياء الله الذين إذا رُؤوا ذُكِر الله**».

□ فمن راد أن يتأدب بأدب النبوة، وأن يعرف طريقة للعبادة، وعلو الهمة فيها والصبر على طول القيام والركوع والسجود، فليأت مسجد الشيخ أسامة بحي الإمام الشافعي، وهناك يرَى الأعاجيب، فلسان حال الشيخ وتلامذته قول القائل:

تركْنَا البحارَ الزَّخراتِ وراءنا ... فمِن أن يدري الناسُ أنَّى توجَّهْنَا

ونختمُ بما قيل في المتهجِّد عالي الهمة:

فللهِ درُّ العارفِ النَّدْبِ إنَّه ... تَفِيضُ لفَرْطِ الوجْدِ أجفانُهُ دَمَا

يُقيمُ إذا ما الليلُ مدَّ ظلامَهُ ... على نفْسِهِ من شدَّةِ الخوفِ مَأْتَمَا

فصار قَرِينَ الهَمِّ طُولَ نهارِهِ ... أخا السُّهْد والنَّجْوَى إذا الليلُ أظْلَمَا

يقولُ: حبيبي أنت سُؤْلِي وبُغْيَتي ... كفى بك للرَّاجينَ سُؤْلًا ومَغْنَمَا

ألستَ الذي غذيتَني وهديتَني ... ولا زلتَ منَّانًا عليَّ ومُنْعِمَا؟!

ففي يقْظتي شَوْقٌ وفي غَفْوَتي مُنًى ... تُلاحِقُ خَطْوِي نشْوَةً وتَرَنُّمَا[1]

(١) «ديوان الشافعي» (ص١١٥) تحقيق دكتور محمد عبد المنعم خفاجة، نشر مكتبة الكليات الأزهرية.